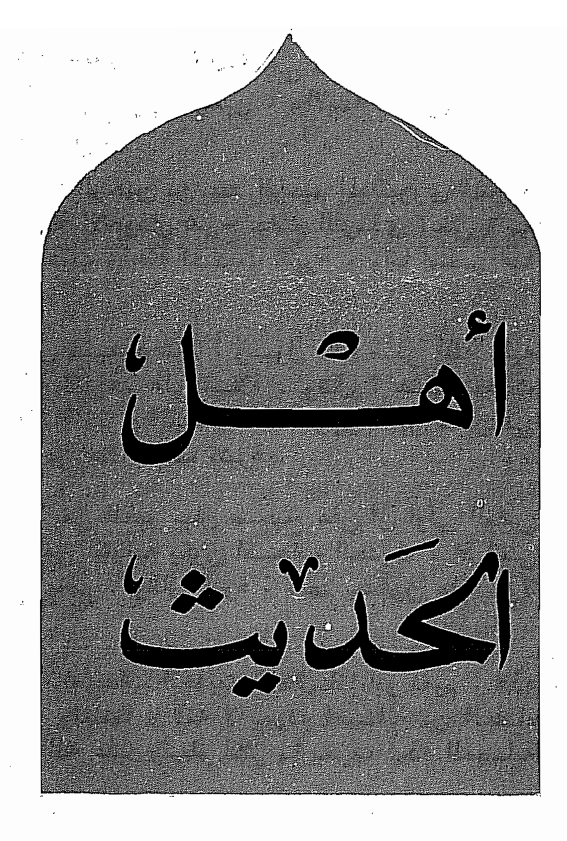


للدكتور: تقي الدين الهلالي

مكناس — المغرب

ندبني الاستاذ رئيس تحرير مجلة (الوعي الاسلامي) الى المشاركة في تحرير مقالات هذه المجلة المباركة ، التي اسست لايقاظ المسلمين ، ونشر الوعي في نفوسهم ليزدادوا تبصرا ، واستنارة في أمر دينهم ودنياهم ، ويعيدوا للاسلام عزته ومجده ، ففكرت في الموضوع الذى أطرق بابه ، فبدا لي موضوع شريف يهم كل قارىء من المسلمين ، وكل طالب علم من المحصلين ، الا وهو معرفة أهل الحديث ، نضر الله وجوههم ، فانه موضوع مع شرفه وفضله قل من يشتغل به في هذا الزمان ، واذا علمنا أن حديث النبي صلى الله عليه وسلم هو خير الكلام بعد كلام الله تعالى ، ولا يمكن تدبر الكتاب العزيز ، ومعرفة معانيه الا بالعلم بأحاديث نبيه الكريم لقوله تعالى في سورة النحل ٤٤ (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) .

فالتفكر والتدبر للقرآن متوقفان على بيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، والحديث هو الاصل الثاني من أصول الاسلام التي عليها تقوم الشريعة ، وبها تستنبط الاحكام . روى مالك في الموطأ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

تركت فيكم أمرين ، لن تضلوا ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنة رسوله .

قال مؤلف تنقيح الرواة في تخريج احاديث المشكاة : سنده هذا المرسل بحديث (أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم من رواية معقل بن يسار عند الحاكم باسناد حسن ! وايضا له شاهد عن ابن عباس يرفعه عند الحاكم والبيهقي (اني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه) الحديث ، وقال الحاكم : صحيح الاسناد . اهـ .

وفضائل علم الحديث كثيرة ، والمراد هنا ذكر نبذة فى فضل اهل الحديث ، قبل ذكر تراجم أهل الحــديث من الصحابة والتابعين ، والأئمة المجتهدين فمن بعدهم .

قال استاذى العالم الربانى عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباكبورى المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ فى مقدمة كتابه (تحفة الاحوذي شرح جامع الترمذى) ص ٦ ما نصه : وقد ورد فى فضيلة علم الحديث واهله احاديث كثيرة ، وانا اقتصر هنا على ذكر خمسة أحاديث .

الاول : روى الترمذى عن ابن مسعود قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : اولى الناس بى يوم القيامة اكثرهم على صلاة . وقال : هــذا حديث حسن غريب . قال القارى فى المرقاة شرح المشـــكاة : ورواه ابن حبان فى صحيحه ، ذكره ميرك . والاحاديث فى هذا الباب كثيرة .

قال ابن حبان عقب الحديث : فى الخبر بيان صحيح على أن أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في القيامة يكون أصحاب الحديث ، اذ ليس فى هذه الامة قوم أكثر صلاة عليه منهم . وقال غيره : لأنهم يصلون عليه قولا وفعلا . ا هـ .

وقال الخطيب فى كتابه شرف أصحاب الحديث : قال لنا ابو نعيم : هذه منقبة شريفة تختص بها رواة الآثار ونقلتها ، لأنه لا يعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر ما يعرف لهذه العصابة نسخا وذكرا .

وقال ابو اليمن بن عساكر : ليهن أهل الحديث هذه البشرى ، فقد أتم الله تعالى نعمه عليهم بهذه الفضيلة الكبرى ، فانهم أولى الناس بنبيهم واقربهم — ان شاء الله تعالى — وسيلة يوم القيامة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يخلدون ذكره فى طروسهم ، ويجددون الصلاة والتسليم عليه فى معظم الاوقات فى مجالس مذاكرتهم ودروســـــهم ، فهم ان شاء الله تعالى الفرقة الناجية ، جعلنا الله منهم وحشرنا فى زمرتهم . ا هـ .

الحديث الثانى : روى الترمذى عن ابن مسعود قال : سمعت رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نضر الله امرءا سمع منا شيئا ، فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع . وقال هذا حديث حسن صحيح .

وفى الباب أحاديث أخرى ، وقال القارى : خص مبلغ الحديث كما سمعه بهذا الدعاء ، لأنه سعى فى نضارة العلم ، وتجديد السنة ، فجازاه بالدعاء بما يناسب حاله ، وهذا يدل على شرف الحديث وفضـــــله ودرجة طلابه ، حيث خصهم النبى صلى الله عليه وسلم بدعاء لم يشرك فيه أحدا من الامة ، ولو لم يكن فى طلب الحديث وحفظه وتبليغه فائدة سوى أن يستفيد بركة هذه الدعوة المباركة لكفى ذلك فائدة وغنما ، وجعل فى الدارين حظا وقسما . ا هـ .

وقال القاضى أبو بكر بن العربى : قال علماء الحديث : ما من رجل يطلب الحديث الا كان على وجهه نضرة لقول النبى صلى الله عليه وسـلم نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها ، فأداها كما سمعها . الحديث ..

قال : وهذا دعاء منه عليه السلام لحملة علمه ، ولا بد بفضل الله تعالى من نيل بركته . ا هـ

والى هذه النضرة اشار ابو العباس العزفي بقوله :

اهل الحديث عصابة الحق ... فازوا بدعوة سيد الخلق
فوجوههم زهر منضرة ... لألاؤها كتألق البرق
يا ليتني معهم فيدركني ... ما ادركوه بها من السبق

الحديث الثالث : روى الطبراني فى الاوسط عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارحم خلفائى ، قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يروون احاديثى ، ويعلمونها الناس .

قال القسطلانى فى ارشاد السارى بعد ذكر هذا الحديث : ولا ريب ، ان اداء السنن الى المسلمين نصيحة لهم من وظائف الانبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، فمن قام بذلك كان خليفة لمن يبلغ عنه ، وكما لا يليق بالانبياء عليهم السلام ان يهملوا أعاديهم ولا ينصحوهم ، كذلك لا يحسن لطالب الحديث وناقل السنن أن يمنحها صديقه ، ويمنعها عدوه ، فعلى العالم بالسنة ان يجعل اكبر همه نشر الحديث فقد امر النبى صلى الله عليه وسلم بالتبليغ عنه حيث قال : بلغوا عنى ولو آية . الحديث رواه البخارى .

قال المظهرى : اى بلغوا عنى احاديثى ، ولو كانت قليلة . قال البيضاوى : قال : ولو آية ، ولم يقل : ولو حديثا ، لأن الامر بتبليغ الحديث يفهم منه بطريق الاولوية ، فان الآيات مع انتشارها وكثرة حفظتها تكفل الله تعالى بحفظها وصونها عن الضياع والتحريف . ا هـ .

وقال مالك رحمه الله تعالى : بلغنى أن العلماء يسألون يوم القيامة عن تبليغهم العلم كما تسأل الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقال سفيان الثورى : لا اعلم علما افضل من علم الحديث ، لمن اراد به وجه الله تعالى ، ان الناس يحتاجون اليه حتى فى طعامهم وشرابهم ، فهو افضل من التطوع بالصلاة والصيام ، لأنه فرض كفاية . ا هـ .

الحديث الرابع : روى البيهقى فى المدخل عن ابراهيم بن عبد الرحمن العذرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .. كذا فى المشكاة .

قال القسطلانى بعد ذكره من حديث أسامة بن زيد : وهذا الحديث رواه من الصحابة ، على وابن عمر وابن عمرو ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وجابر بن سمرة ، ومعاذ ، وابو هريرة ، وأورده ابن عدى من طرق كثيرة ، كلها ضعيفة ، كما صرح به الدارقطنى وأبو نعيم ، وابن عبد البر . لكن يمكن ان يتقوى بتعدد طرقه ، ويكون حسنا كما جزم به العلائى ، وفيه تخصيص حملة السنة بهذه المنقبة العلية ، وتعظيم لهذه الامة المحمدية ، وبيان لجلالة قدر المحدثين ، وعلو مرتبتهم فى العالمين ، لأنهم يحمون مشارع الشريعة ومتون الروايات ، من تحريف الغالين ، وتأويل الجاهلين ، بنقل النصوص المحكمة لرد المتشابه اليها .

وقال النووى فى اول تهذيبه : هذا اخبار منه صلى الله عليه وسلم بصيانة هذا العلم وحفظه ، وعدالة ناقليه ، وان الله تعالى يوفق له فى كل عصر خلفاء من العدول يحملونه ، وينفون عنه التحريف ، فلا يضيع ، وهذا تصريح بعدالة حامليه فى كل عصر ، هكذا وقع ، ولله الحمد ، وهو من اعلام النبوة . ولا يضركون بعض الفساق يعرف شيئا من علم الحديث ، فان الحديث انما هو اخبار بأن العدول يحملونه ، لا أن غيرهم لا يعرف منه شيئا . ا هـ

على انه قد يقال ما يعرفه الفساق من العلم ليس بعلم حقيقة لعدم عملهم ، كما اشار اليه سعد الدين التفتازانى فى تقرير قول التخليص ، وقد ينزل العالم بمنزلة الجاهل ، وصرح به الشافعى : ولا علم الا مع التقى ، ولا عقل الا مع الأدب ، ونظمته فقلت من بحر الطويل :

ولا خير فى علم اذا لم يـــكن تقى ولا خير فى عقل اذا لم يـــكن أدب

ولعمرى ، ان هذا الشأن من اقوى اركان الدين ، واوثق عرى اليقين ، لا يرغب فى نشره الا صادق تقى ، ولا يزهد فيه الا كل منافق شقى .

قال ابن القطان : ليس فى الدنيا مبتدع الا وهو يبغض اهل الحديث . وقال الحاكم : لولا كثرة طائفة المحدثين على حفظ الاسانيد لدرس منار الاسلام ، ولتمكن أهل الالحاد والمبتدعين من وضع الاحاديث وقلب الإسانيد . ا هـ

واقتصر على هذا فى ذكر اقوال اهل العلم فى فضائل اهل الحديث نثرا ، واما النظم فمن اجمل ما قيل فى ذلك ما انشده القســطلانى فى مقدمة شرحه لصحيح البخارى لأبى بكر حميد القرطبى الاندلسى رحمه الله :

نور الحـــديث مبين فادن واقتبس واحد الركاب له نحو الرضى الندس

واطلبه بالصين فهو العلم ان رفعت أعـــلامه برباها يا ابن أندلس

فلا تضع فى سوى تقييد شـارده عمرا يفوتك بين اللحـــظ والنفس

وخل ســمعك عن بلوى أخى جدل شــغل اللبيب بها ضرب من الهوس

الى أن قال :

واقف النبى وأتبـــاع النبى وكن من هديهـــم أبدا تدنو الى قبس

والزم مجالسهم واحفظ مجالســهم واندب مدارســهم باالاربع الدرس

واســـلك طريقهم والزم فريقهــم تـــكن رفيقهم فى حضرة القـــدس

تلك السعادة أن تعلم بســـاحتها فحـــط رحلك قد عوفيت من تعس

وقد اقترح على العالم السلفى محمد حسين الفقى الحجازى الجدى سنة ١٣٤١ هـ حين حججت أول حجة تخميس هذه القصيدة ، وكنت مشغول البال بالاهتمام بالسفر الى الهند فى طلب علم الحديث ، فلما وصلت الى دلهى عاصمة الهند ، واستقررت فيها ، استجابت القريحة لطلب العـــالم المذكور فنظمت

تخميسها ونشرته في دلهي مع قصائد أخرى سميتها (الهـــدايات) وقد نقله بتمامه استاذنا الاحوذي ، المتقدم ذكره ، مصـــــدرا له بقوله : وقال بعض الإعلام ، اثبته هنا الا بيتا واحدا ، وهذا نص التخميس .

ان كنت تطلب علمـــا جد ملتمس   وحرت اذ غم عنــك الرطب باليبس

فاســـمع لنصح لبيب أي محترس

نور الحـــديث مبين فادن واقتبس   واحد الركاب له نحو الرضى الندس

واقطع علائق من تحصـــــيله منعت   تنظر شموس الهدى في الافق قدطلعت

وحجب غي ترى عن قلبـــك ارتفعت

فاطلبه بالصين فهو العلم ان رفعت   أعـــــــلامه برباها يا ابن أندلس

ولازم الدرس واغنـــم من فوائده   لا تقنـــع الدهر من حلوى موائده

واشرب فديتك عـــــلا مـــن موارده

ولا تضع في سوى تقييد شــــارده   عمـــرا يفـــوتك بين اللحظ والنفس

دع الكلام فما فيه ســـــوى الخطل   وانبذ مجالســـــــه تحفظ من العـــلل

فذاك شر ابتـــــداع جاء بالخـــلل

وخل ســـمعك عن بلوى أخي جدل   شغل اللبيب بهـــا ضرب من الهوس

الله يعـــــلم كم ســـــيق من ضرر   للنـــــاس من أجله في البدو والحضر

اقبح بهـــا بدعة تدني الى ســـــقر

الى أن قلت :

ورد بقلبك عذبا من حياضـــــــهما   تغسل بماء الهدى ما فيه من دنس

شد الرحال اليهم كي تجالســـــهم   واحذر فديتك يوما أن تعاكســــــهم

لا تحسدنهم ولكن كن منافســــــهم

والزم مجالسهم واحفظ مجالســـهم   واندب مدارســــــهم بالاربع الدرس

واطلب مودتهم وكن صــــــديقهم   وكن مجالســــــهم تشرب رحيقهم

وقرهم كلهـــــم واعرف حقوقهـــــم

واســـلك طريقهم واتبـــع فريقهم   تـــكن رفيقهم في حضرة القـــدس

هي الشريعة فانظر في ســـماحتها   كفيلة للنفـــوس باســــــتراحتها

في حظـــــرها حكمة وفي اباحتهـــا

تلك السعادة ان تلمم بســـــاحتها   فحـــط رحلك قد عوفيت من تعس